

## ارتدادات الصراع في ناغورنو كاراباخ

الكاتب



ناصر زيدان

د. ناصر زيدان

إقليم ناغورنو كاراباخ الجبلي الذي يقع وسط دولة أذربيجان، واحد من التكرات السوفيتية التي تدور حولها الإشكاليات الاستراتيجية، وهو مكان تتولد منه مشكلة «طويلة المدى» يجب التعامل معها بهدوء، كما قال وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن. والإقليم الذي تبلغ مساحته 4800 كلم مربع ويقطنه ما يقارب 150 ألف شخص غالبيتهم من الأرمن، أعلن الانفصال عن أذربيجان من دون أن يلاقي أي اعتراف دولي، سوى من الحكومة الأرمنية في يريفان، التي تعتبره تابعاً لها وليس جمهورية مستقلة كما يدعي ناشطون في الإقليم.

يشبه إقليم كاراباخ حالة جزيرة القرم التي كان الاتحاد السوفيتي منحها لأوكرانيا عام 1954، ثم عادت القوات الروسية ودخلتها وأعلنتها موسكو جزءاً من أراضيها عام 2014. ووضع إقليم كالينينغراد الذي يقع في أقصى شمال أوروبا بين ألمانيا وبولندا تشبه الحالة نفسها، وقد أبقت القوات السوفيتية ضمن السيادة الروسية، رغم أنه غير متصل بأراضيها، وتصل إليه روسيا بممر أرضي ضيق (طريق) بطول 60 كلم، كما هو الوضع مع إقليم كاراباخ البعيد عن أراضي أرمينيا، ولا يتصل معها سوى بطريق واحد، هو ممر لاتشين. والاتحاد السوفيتي كان قد أعطى الإقليم استقلالاً ذاتياً تشرف عليه أرمينيا، وأصبح من ضمن التكرات السوفيتية التي تنتج توترات دائمة، ولم تنجح كل الوساطات في إرساء سلام دائم فيه. الحرب التي أعلنتها باكو على الإقليم في 19 أيلول/سبتمبر لاستعادته إلى السيادة الأذربيجانية الكاملة، لم تكن الأولى، فسبق أن حصلت حروب في الإقليم بين باكو ويريفان عام 1992 وعام 2020، وقد أفضت الحرب الأولى إلى تكريس استقلال الإقليم ضمن السيادة الأذربيجانية، بعد أن وقفت موسكو إلى جانب أرمينيا، لكن حرب عام 2020 غيرت المعادلة لصالح باكو، وأصبح الإقليم محافظة أذربيجانية، تضمن سلامة سكانه الأرمن قوات سلام روسية، وتنازلت أرمينيا عن اعتباره جزءاً من كيائها، والقوات الأذربيجانية لا تدخل بتفاصيل حياة سكان الإقليم،

لكنها تشرف على الممر الترابي الوحيد الذي يربط الإقليم بأرمينيا

وكانت حجة القوات الأذربيجانية التي بدأت بالهجوم على بلدات في الإقليم يوم الثلاثاء 19 أيلول/سبتمبر، قيام مجموعات إرهابية بزرع ألغام على بعض الممرات، أدت إلى قتل 4 من أفراد الشرطة الأذرية ومدنيين اثنين، وتطالب باكو هذه المرة بأن تسلّم المجموعات الانفصالية سلاحها بالكامل للقوات الأذرية، وأن تكفّ يريفان عن دعم هذه المجموعات. بينما يقول رئيس وزراء أرمينيا نيكول باشينيان: «إن باكو تقوم بأعمال تصفية عرقية في الإقليم»، وهو دعا روسيا التي كفلت تطبيق الاتفاقات السابقة إلى حماية المواطنين الأرمن، كما ناشد الأمم المتحدة التحرك السريع لوقف العدوان الأذربيجاني كما قال

بدأت الارتدادات الإقليمية والدولية لأحداث ناغورنو كاراباخ تتصاعد، وهي تنذر بحصول اصطفاقات جديدة في المنطقة، كما تؤشر إلى إمكانية اندلاع توترات واسعة في منطقة القوقاز.فرنسا وألمانيا والاتحاد الأوروبي لا يخفون تضامنهم مع أرمينيا، ويطالبون بتدخل دولي لوقف العدوان الأذربيجاني، كما ورد في تصريحات صادرة عن مسؤولين في هذه الأطراف، بينما ترى تركيا أن ما يجري هو عبارة عن إجراءات سيادية أذربيجانية لحفظ الأمن الداخلي في البلاد، والقانون الدولي يعطي حكومة باكو الحق في القيام بهذه التدابير الأمنية، كون الإقليم يقع ضمن أراضيها. بينما ما زالت روسيا تراقب الوضع، وقواتها المنتشرة في بعض مناطق الإقليم لم تحرك ساكناً حتى الآن

من المؤكد أن موسكو اليوم ليست كما كانت عام 2020 قبل اندلاع الحرب في أوكرانيا، وفي هذه الحرب تقف الدول الأوروبية ضدها وتدعم أوكرانيا بقوة، وانطلاقاً من هذه المستجدات، قد تغير موسكو موقفها المتعاطف مع يريفان التي تحتضنها الدول الأوروبية، وهي لن تغامر بخسارة تعاونها مع أنقرة الذي تجدد في جزء كبير منه خلال زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في 2023/9/4 إلى مدينة سوتشي الروسية ولقائه مع الرئيس فلاديمير بوتين

أما الولايات المتحدة، فلم تتخذ موقفاً حاسماً من الأحداث الجارية حتى الآن، ودعت إلى ضبط النفس في التعامل مع مشكلات طويلة المدى، وليست وليدة اليوم. ويبدو أن موقفها يتميز بعض الشيء عن موقف حلفائها الأوروبيين، وهؤلاء يهتمهم الاستقرار في منطقة القوقاز، لأنها ممر لأنابيب غاز ونفط مهمة تغذي أوروبا

المهم أن العملية العسكرية الأذربيجانية في الإقليم انتهت سريعاً، بعدما قرر المسلحون الأرمن تسليم أسلحتهم وبدء محادثات مع باكو حول دمج الإقليم في أذربيجان، فيما قرر عدد كبير من أبناء الإقليم عدم البقاء في منازلهم واللجوء إلى أرمينيا باعتبارها وطنهم الأم، كما شهدت العاصمة يريفان تظاهرات ضد رئيس الوزراء باشينيان لأنه فرط في الإقليم